المستقبل ، ويفتح مستقبله على فضاء شعري بغير مقدمات . هنا نجد الاصوات الدرويشية وهي تتدرج من المباشر الى الغامض ، من الخط المستقيم الى الحركة الداخلية التي توحد الخطوط حول اكثر من مفصل ولحظة . الغنائية تمتزج بالصوت الدرامي ، والسرد الشعري يختلط بالزمن المقبل ، ويصبح المكان الفلسطيني في مجاري المستقبل . انه ليس مكانا يحتله الغزاة ، انه نفي كامل للغزاة، فيما هو محاولة لاعادة شحن المكان بالدلالات .

بين الصوتين المتحاورين ، الشهيد والشاعر ، الشاعر والشاعر ، القصيدة والشاعر ، تقع بنية القصيدة التي لا تتقدم الا لتستعيد ثم تعود الى الوراء حتى تتوحد بالنحن . نحن المستقبل الثوري الذي يصبح الماضية والفعل المغير . نحن مستقبل المكان وعنوان الزمن الجديد . لذلك يخاطبها وينفصل عنها ، يكتب القصيدة ويخاكمها ، يرتديها ويخلع الزمن ، ثم يخلعها ويرتدي الزمن ثم يتوحد في لهب الشعر وقد ابتعد عن كونه جمرا ، ليصبح حريقة.

في شعره القادم من الاسوار ، كانت العلاقة بسيطة ، نحن وهم . نحن الذين اغتصب وطنهم، وهم الغزاة الذين يدفعوننا الى الثورة . كان الخط المستقيم هو اطار المعادلة الغنائية ، المأساوية والحزينة . وفي هذه القصيدة هناك نحن وهم . لكن التركيز هو على نحن على « الفرق بيني وبيني » في هذا الفرق تنقسم الذات الى متكلم وغائب ، ويأتي الانتحار مدخلا الى الوحدة التي تحيل الارض الى جزء من الانسان :

« وصرت أعلى من مدينتنا . أنا الشجر الوحيد
انا الشظايا والهدايا
ارتديك واخلع الايام » ...

من داخل الانتحار ، ترتفع التساؤلات ، ويحاول الشاعر محاكمة العالم من خلال محاكمته لشعره . يوحد الموضوع بالشكل ويسأل الواقع عن اجوبته . فالقصيدة لا تزال في الخارج ، والجسد لا يزال في العراء : —

« انا ضد المدنية
في زمان الحرب غطني الشظية
في زمان السلم غطني العراء » .

هذا الزمن الذي يتداعى في تضاداته ، الحرب — السلم ، الشظية — العراء ، هو الزمن الذي يفتح افق محاكمة الواقع ارتباطا بنقطة الدم التي تصل الشاعر بواقعه . « الدروب اليك حبل من دمي » . لكنه يعود من جديد الى محاكمة الواقع . فالزمن الفلسطيني ليس فقط ، زمنا فلسطينيا ، انه زمن عربي ، وحين لا يستطيع دمج الواقع العربي الى موقعه ، يحاكمه بحبل الدم وباعادة النظر في مسلماته :

« انا ضد القصيدة
غيرت حزن النبي ولم تغير حاجتي للانبياء »

ثم تنكفيء القصيدة على نفسها ، تلتف في محاولة لاعادة صياغة الحلم الفلسطيني ، تتمسك بالبديل — الارض . وتميد شحنها بالواقع الجديد الاتي على ايقاع الثورة : « لي وجه يحاول ان يراني » .

بين صيغتي المتكلم والغائب ، تقع الفواصل التي يقيمها درويش لقصيدته ، انه ينتقل من صيغة الى اخرى ، يخاطب ويتأمل ، يخرج من ذاته ويمتد الى الحركة الخارجية بكل صيغها ، يحاور البحر والشجر والنخيل ، ثم يعود ليتوحد بالنحن . هنا ، نصل الى مسرح شعري متكامل ، يضج بالابطال والمواقف . لكن القصيدة تختزل المواقف ، وتركز على الحركة . الحركة الداخلية هي في حوار يستطيع ان يمزج عناصر الطبيعة بالذات ، وان يعيد رسم معادلة الخروج من الاسار الرومانسي الى العلاقات الواقعية . فالعلاقة بالارض ليست مباشرة، انها تمر عبر الموت والانتحار . لذلك ليس هناك بداية او نهاية ، هناك حركة لا تنتهي . وعي الواقع لا يعني تجميده ، بل فهمه في حركته ، وحركته الى الامام لا تتوقف ولا تنتهي :

« انا ضد العلاقة
ان تكون بداية الاشياء دائمة البداية
انا ضد النهاية
ان يكون الشيء اوله واخره واذهب ... »

الايقاع داخل جدل الحوار

حين يقيم درويش مسرح قصيدته ، فانه يضع لحركة ابطاله محطات تتكيء على مستويين : — **البنية الموسيقية** التي تستطيع الانتقال من ايقاع